

بسم الله الرحمن الرحيم

رئيس الحفلة الموقر، وضيف الشرف الأغر، وأساتذتي الأجلاء، وزملائي الأحباء!

يُسعدني أن ألقى أمامكم خطبة وجيزة حول موضوع "الدعوة إلى الله وتوحيده". مما لا يخفى على أحد منا أننا في عهد من عهود البلبا والفتن، فنشاهد يوما بعد يوم أن أعداء الإسلام يغلبون بلدا بعد بلد ويشن الصليبيون حربا بعد حرب على أهل الإسلام وعلى شعاره. ونشاهد أن الكفر والشرك كاد أن يسحق رموز ديننا بقتل الدعاة والهداة والمجاهدين وحاملي لواء الدين. فالمسلمون اليوم مخذولون قانطون فاشلون في كل مكان.

إخواني الكرام!

علينا أن نذكر في هذه الأيام الشداد أسوة سيدنا يوسف عليه السلام. فقد وجد المجتمع كله مستعدا لإضراره، وما وجد أحدا يواسيه، حتى وجد نفسه مع براءته في السجن، بعيدا عن أقربائه. فماذا نجده يفعل في هذا الحال العصيب والوضع العسير؟ هل قنط وأيس؟ لا!

"يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ." هذا كلامه، وهذا نداؤه، وهذا دعاؤه. كلام المؤمن الصابر، والنبى المثابر، يعلم علم اليقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وعلى كل حال، عليه أن يدعو عباد الله إلى الله وحده في كل طور ومكان وفي كل وضع وزمان.

ولما كنا وارثي النبيين، بل وارث إمامهم وسيدهم وأولهم وآخرهم، فعلىنا أن نتأسى بأسوتهم وأن نهتدي بهديهم ولا سيما هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي نجده يدعو الناس إلى الله وإلى توحيده في طائف وجلاه تسيل دما، ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون! ونراه يسلي أصحابه المضطهدون الملهوفون الشاكون إليه اعتداء مشركي قريش حيث قال: كَانَ مِنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُجْعَلُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ فَرْقَتَيْنِ مَا يَصْرَفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُشْطَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمِهِ مِنْ لَحْمٍ وَعَصَبٍ مَا يَصْرَفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ. وَاللَّهِ لِيُيَمِّنَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِابُ مَا بَيْنَ صُنْعَاءَ وَحَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَالذَّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ (أبو داود: 2278). فإن الله قد وعد المؤمنين أنه سوف يستخلفهم في الأرض بشرط أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.

فعلما أنه لا رخصة في الدعوة إلى الله وإن كانت عواصف الكفر الهوجاء تجري، وإن كان المؤمنون في غاية الضعف وقلة الحيلة. لأن الله قد اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة، ولأن المؤمنين قد قبلوا تجارة تُنجيهم من عذاب اليم، فعلى المؤمنين – وخاصة على علمائهم – أن يستقيموا على أسوة نبينا منادين بكل قوة: تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (3:64). فالأمر الهام والعنوان العام لهذه الدعوة هو التوحيد الخالص، فمن منكريه من يجحد التوحيد جهرا وبالكامل، ومن منكريه من قال الله سبحانه عنهم: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ.

فلنكن هذه دعوتنا ورسالة حياتنا أي نشر الدين، وإشاعة وحدانية الله – جل وعلا – حتى لا يبقى على الأرض بُيُوتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعْرَ عَزِيزٍ أَوْ بِذَلِّ دَلِيلٍ، عَزَا يُعْرِ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ. ندعو الله سبحانه أن يجعلنا ممن يعزّه ويرفعه في الدارين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فلدينا مسألة مهمة، وهي المسؤولية الملقاة على أصحاب العلم من جهة البلاغ والتعليم للناس، فإن العلماء هم خلفاء الرسل، وهم ورثتهم، ولا يخفى مرتبة الرسل، وأنهم هم القادة. وهم الهداة للأمة، وهم أسباب سعادتها ونجاتها، فالعلماء حلوا محلهم، ونزلوا منزلتهم في البلاغ والتعليم؛ لأنهم خُتموا بحمد عليه الصلاة والسلام، فلم يبق إلا البيان والتبليغ لشرعية محمد صلى الله عليه وسلم، والدعوة إليها وبيانها ونشرها بين الناس، وليس لذلك أهل إلا أهل العلم، هم الذين أهلهم الله لهذا الأمر دعاء وقادة بأقوالهم وأفعالهم وسيرتهم الظاهرة والباطنة.

فواجبنا عظيم، والخطر علينا جسيم، والأمة في ذمتنا؛ لأنها بأشد الحاجة إلى البلاغ والبيان بالطرق الممكنة. والطرق اليوم كثيرة: منها وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.. فلها أثارها العظيمة في إضلال الناس، وفي هدايتهم.. وهكذا الخطب في الجمع والأعياد والمناسبات والندوات، والاحتفالات لأي سبب، لها أثارها أيضا. والنشرات المستقلة والمؤلفات والرسائل لها أثارها العظيمة. فعلىنا أن نستخدم كلا منها مما يتيسر لنا لنيل هذا الهدف السامي. ولنكن الدعوة إلى الله ونشر دينه وتبليغ توحيدة رسالة حياتنا، حتى لا يبقى ...